بسم الله الرحمن الرحيم

التوحيد في الأديان [x]

د. سهير فضل الله أبو وافيه

التوحيد دين الفطره ، دين الكافة عقلاء وعلماء ، فلاسفة وأنبياء ، ورسل أصحاب كتب ورسالات.

وهو قضية بديهيه مسلم بها عن طريق الفطره والعقل ، فطره الله التى خلق الانسان عليها قال تعالى " واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى " (١)

ان هذا الاقرار بربوبيه الله تعالى ووحدانيته سبحانه فى عالم الذر انما يوضح فطريه عقيده التوحيد ، وأن هذه العقيده الفطرية مغروزة فى النفس الانسانية منذ خلق الله آدم ، وستظل كذلك فى النفوس باقية مابقيت النفوس.

والعقل الانسانى يقر هذه الحقيقة الفطريه ويعلمها بداهه قال تعالى " لئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله " (٢).

فالعقل يؤكد الوحدانية لله الخالق القادر لا اله الا هو ، والنص يثبتها ، يقول فى هذا الصدد الفيلسوف بيرتراند رسل : ان القضية الدينية يجب ألا تقبل الا اذا كان لها سند كالسند المطلوب فى القضية العلميه.

---

[x] ليس المقصود بالتوحيد فى الاديان الوحدة بينهما بل البحث يثبت التوحيد بمعنى ان الله واحد لا شريك له

(١) الاعراف : ١٧٢

(٢) لقمان : ٢٥

لذلك كانت دراستنا للتوحيد كأصل للأديان [1] ، يعتمد على السند من النص والعقل معا، وبيان لجوهر التوحيد في الأديان وأن اختلفت مسمياتها ، فالأصل واحد ، والجوهر أصيل ، على الرغم مما شاب هذا الأصل من تغير وتحريف.

لقد عرف الانسان عقيده التوحيد من قديم الزمان ، عرفها قبل أن تصل اليه بشارات الأنبياء ، ورسالات السماء ، عرفها قدماء المصريين فنادى بها أخناتون [2] وكانت عقيدة التوحيد هي الانشودة التي تنشد كل صباح في المعابد ودور العباده فيرددون.

لا اله الا الله واحد لا شريك له.

الله مفرد صمد صانع جميع المخلوقات.

الله روح مخبوءه عن أعين الناس والحيوان.

الله اله من الأزل فقبل وجود أي شيء كان الها.

والى جانب ذلك كانت صلاه اخناتون التي يدعو بها ربه دليلا واضحا على عقيده التوحيد اذ يقول : " هو الحي المبدئ للحياه ، المنك لاشريك له في الخلق ، وكذلك كان يردد في صلاته " ما أكثر خلائقك التي تجلت ، أنت الاله الواحد الذي لا اله غيره ، خلقت الأرض بمشيئتك وتفردت فعمرت الكون بالانسان والحيوان والكبار والصغار.

وسجل المصريون القدماء على أوراق البردي وعلى جدران المعابد ما يشهد على عقيدتهم في التوحيد [3] وايمانهم بالله الواحد القادر العالم وانه لم يكن اله وادي النيل فقط ، بل اله كل الناس وكل العالم " [4]

---

(١) Herve' Rousseau: Les Religions" Que Sais - je " p 46

(٢) المرجع السابق ص ٤٩

(٣) H. Frank Fort and others: Before philosophy. P/10

(٤) جيمس هنري برستيد : تطور الفكر الديني ترجمه زكي سوس ص ٤٢٣ دار الكرنك

ثم كانت ديانات الفلاسفة التي تحدثت عن اله واحد فوق الآلهة المتعدده ، فحارب أكسينوفان الشرك بكل صوره ، وأثبت أفلاطون الوحدانية لله وجعله مثال الخير الذي ينطوي على الخير المطلق. وجاء أرسطو ليقرر المبدأ الأول أو المحرك الأول الذي يدبر حركة العالم ويسيره في انتظام وتناسق ، وانه واجب الوجود لذاته ، وانه واحد قديم لايتغير ولايتبدل.

وكذلك كانت الديانات الوضعية ، على الرغم من قولها بأصلين قد يمين الا انها كانت تغلب في النهايه الها واحدا هو رب الأرباب ، تقول الصابئة ، انا نحتاج في معرفة الله ومعرفه طاعته وأوامره وأحكامه الى متوسط ، لكن ذلك المتوسط .. يجب أن يكون روحانيا لا جسمانيا وذلك لا ذكاء الروحانيات وطهارتها ، وقربها من رب الأرباب "[1]. والمجوس كذلك الذين أثبتوا أصلين اثنين مدبرين قديمين يقتسمان الخير والشر ، والنفع والضر ، والصلاح والفساد ، يسمون أحدهما النور ، والثاني الظلمه ... الا ان المجوس الأصلية ذهبت الى انه لايجوز أن يكونا قديمين ازليين بل النور أزلي والظلمه محدثه ، ثم اختلفوا في سبب حدوثهما أمن النور حدثت ، والنور لايحدث شرا جزئيا ، فكيف يحدث أصل الشر .... لاشيء يشارك النور في الاحداث والقدم.[2]

من ذلك نرى أن المجوس على الرغم من قولها بأصلين أثنين مدبرين ، الا انهم يقررون أن النور أزلي غير محدث ، وهو أصل واحد لايشرك معه آخر في الاحداث والقدم.

---

(١) الشهرستاني : الملل والنحل على هامش الفصل في الملل والاهواء والنحل لابن حزم حـ٢ ص ٧٠

(٢) المرجع السابق حـ٢ ص ٧٢.

وتذهب الكيومرثية [1] من المجوس الى القول بأصلين هما يزدان وأهرمن ، الا انهما تقربان يزدان أزلى قديم ، وأهرمن محدث مخلوق [2] .

ثم زادوا فقالوا أن يزدان فكر فى نفسه انه لو كان له منازع كيف يكون وهذه فكره رديئة غير مناسبه لطبيعه النور فحدث الظلام [3] .

هكذا فسر كيومورث نشأه الوجود وأثبت التفرد والوحدانيه ليزدان الأزلى القديم ، وأن أهرمن محدث مخلوق انفصل عن يزدان لأنه يخالفه طبيعه وقولا ، ولا يستطيع الظلام أن يحيا مع النور ، ولا أن يحيا النور مع الظلام ، ولذلك ترك العالم السفلى خالصا لأهرمن.

وتعتقد الزروانيه من المجوس أيضا أن النور أبدع أشخاصا من نور كلها روحانيه نورانية ربانيه ، ولكن الشخص الأعظم شك فى شئ من الأشياء فحدث أهرمن الشيطان من ذلك الشك ، وحدث صراع بين النور والشيطان لما بين يديه من خبث وشراره فلعنه وطرده ، أما هرمز فقد اتخذه القوم ربا وعبدوه لما وجدوا فيه من الخير والطهارة والصلاح [4]

وتقر المسخية كذلك من المجوس أن النور كان وحده نورا محضا ثم انمسخ بعضه فصار ظلمه [5] .

من مذاهب المجوس ومعتقداتهم نستطيع أن نتبين ميلهم الى اقرار مبدأ واحد يرد اليه الاثنان ، له السبق والتفرد والاحداث. ولقد مهدت هذه العقيدة لظهور الدين الهدى اعتنقته الفرس بعد ذلك وعاصر الاسلام ، ونقصد به الديانه الزردشتيه [6] التى تتحدث

---

(١) نسبه الى كيومرث التى زعمت الكيومرثيه انه آدم عليه السلام وقد ورد فى تواريخ الهند بالعجم كيومرت آدم ويخالفهم سائر أصحاب التواريخ أنظر الشهرستانى الملل حـ٢ ص ٢٣

(٢) المرجع السابق حـ٢ ص ٢٣

(٣) المرجع السابق

(٤) المرجع السابق حـ٢ ص ٢٥

(٥) المرجع السابق حـ٢ ص٢٦ - ٢٧

(٦) المرجع السابق حـ٢ ص ٢٨

عن اله واحد خالق مبدع تدعو الى عبادته وحده ، والكفر بالشيطان وتفسر نشأه العالم بأن النور والظلمه أصلان متضادان ، وكذلك يزدان وأهرمن هما مبدأ موجودات العالم وحصلت التراكيب من امتزاجهما ، وحدثت الصور من التراكيب المختلفة ، والبارى تعالى النور والظلمه ومبدعهما ، وهو واحد لاشريك له ، ولا ضد ، ولاند ، ولايجوز أن ينسب اليه وجود الظلمه كما قالت الزروانيه ، ولكن الخير والشر والصلاح والفساد والطهاره والخبث انما حصلت من امتزاج النور والظلمه ، ولو لم يمتزجا لما كان وجود للعالم وهما يتقاومان ويتغالبان الى أن يغلب النور الظلمه والخير الشر ، ثم يتخلص الخير الى عالمه ، والشر ينحط الى عالمه وذلك هو سبب الخلاص والبارى تعالى مزجهما لحكمه رآها ....(١)

من هذا النص يمكننا أن نتبين عقيدة التوحيد فيّ الديانه الزردشتيه لأن منطق المذهب يقول بوجود اله ابدع المبدأين النور والظلمه وهو واحد لاشريك له ولاضد ، ولاند . والله تعالى هو المبدع الحازح ، وعلى ذلك يكون للعالم قوه الهية هى المدبره لجميع ما فى العالم.

من كل ما سبق يمكننا أن نقول أن عقيدة التوحيد لم تغب عن الفكر الدينى أبدا حتى فى زمن التثنية والمجوسيه ، وانها اخذت تتبلور فى الديانه الزردشتيه ، وصارت تلح الحاحا قويا على الظهور والسيادة على الفكر والاعتقاد ، وان لم تظهر بوضوح كما ظهرت فى الديانات السماويه حيث الوحى والامر بعباده الله ولاتشرك معه غيره.

قال الله تعالى " لقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره"(٢)

وقال هود لقومه " اعبدوا الله مالكم من اله غيره " (٣)

وقال صالح لقومه " اعبدوا الله مالكم من اله غيره "(٤)

---

(١) الشهرستانى جـ٢ ص ٧٨ انظر AC. Bou Quet: Corrparative Religion p-78

(٢) الاعراف : ٥٩

(٣) هود : ٥٠

(٤) هود : ٦١

وقال شعيب لقومه " اعبدوا الله مالكم من اله غيره "[1]

وقال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم " وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا أنا فاعبدون "[2].

فمنذ نوح عليه السلام أبى الأنبياء الى محمد صلى الله عليه وسلم وخاتمهم والدعوة لعبادة الله وحده وعدم الشرك به هو القول الحق الصريح الذى يخاطب الله به العقل والقلب والوجدان بصوره تؤكد الوحدانية الخالصة ، والتنزيه المطلق لذاته عن المشابهه والمماثلة ، الامر الذى يحقق التوحيد والتفرد التام لله رب العالمين.

وكانت مهمة الأنبياء جميعا والرسل كلهم هى بيان هذا التوحيد والدعوه له ولم يأت نبى أو رسول بغير هذه الدعوة أو بخلافها ، ولذا كان التوحيد هو الاصل الثابت لكل شريعة ودين قال الله تعالى " شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ، والذى أوحينا اليك ما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن اقيموا الدين ، ولاتتفرقوا فيه ، كبر على المشركين ماتدعوهم اليه"[3] وقال الرسول عليه الصلاه والسلام " انا معشر الأنبياء ديننا واحد "[4] فالدين واحد ، وحقيقة الدعوه واحده ، لانها جاءت من اله واحد ، فكيف يمكن أن يكون هناك خلاف أو اختلاف، يقول الامام ابن تيميه فى هذا الصدد " دين الانبياء واحد وان تنوعت شراشعهم كما فى الصحيحين عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى " يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا ، انى بما تعملون عليم ، وان هذه امتكم امة واحدة ، وأنا ربكم فاتقون"[5]

---

(١) هود : ٨٤

(٢) الانبياء : ٢٥

(٣) الشورى : ١٣

(٤) صحيح البخارى حـ٤ ص ٢٠٣ طبعه الشعب

(٥) المؤمنون : ٥١ ـ ٥٢

فجميع الرسل كانت دعوتهم التوحيد أو الاعتقاد في اله واحد لاشريك ولا شبيه له ولامثيل لا اله الا هو.[1] والخضوع والتسليم لأمره ، والاستعانه به وحده ، وتنزيهه عما لايليق بذاته ومن حاد عن ذلك فقد خسر نفسه وكان من الظالمين ، وفارق الاسلام والمسلمين قال الله تعالى " ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ، ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخره لمن الصالحين ، اذ قال له ربه أسلم ، قال أسلمت لرب العالمين ، ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يابنى ان الله أصطفى لكم الدين ، فلا تموتن الا وأنتم مسلمون ، أم كنتم شهداء ، اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد الهك واله اباءك ابراهيم ، واسماعيل ، واسحاق الها واحداونحن له مسلمون "[2] . فالتوحيد أصل كل دين ، وجوهر العقيده الايمانية ، وان الانبياء والرسل اجمعوا على هذه الحقيقة وان تباعد زمانهم أو اختلفت أقوامهم الا ان دعوتهم واحده لعباده الله لا اله الا هو ، وقد شهد الله على الوحدانيه لذاته و شهدت الملائكة بذلك ، وكذلك أصحاب العلم الذين يعملون عقولهم وينظرون ببصرهم وبصيرتهم في الآفاق والموجودات الداله على توحد الله وتفرده في ملكه وخلقه قال تعالى " شهد الله انه لا اله الا هو ، والملائكه وأولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم"[3]

ان هذه الشهادة من الله انما تعنى انه عز وجل قد أبان عن الحق وأظهر وحدانيته للناس جميعا وخلق مايدل عليها وبرهن على صحتها وان العلماء أدركوا هذه الحقيقة وشهدوا على صحتها بالدليل القاطع الذى خاطب الله به العقل ووجه اليه البصر لقوله تعالى " لو كان فيهما آلهه الا الله لفسدتا "[4] وقال عز وجل " ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون "[5]

---

(1) H. A. R.GIBB: MOHAMMEDANISM p 53 OXFORD.

(2) البقره : ١٣٠ - ١٣٣

(3) آل عمران: ١٨

(4) الانبياء : ٢١ .

(5) المؤمنون: ٩١ .

فالله تعالى " يبين بالدليل استحاله وجود اله آخر معه ، ويؤكد امتناعه عن أن يتخذ ولدا له وذلك لأنه لو كان في الوجود آلهة غيره لفسدت الأرض فعلم كل اله وارادته يختلف عن علم وارادة الاله الآخر ، وهذا التخالف ذاتي ، لان علم الواجب وارادته لازم لذات من ذاته لا لأمر خارج عنه ، وكذلك فعل الواجب انما يصدر على حسب علمه وارادته ، فاذا تعددت الآلهه تخالفت أفعالهم بتخالف علومهم وارادتهم وهو خلاف يستحيل معه الوفاق ، وكل واحد بمقتضى وجوب وجوده وما يتبعه من الصفات ، له السلطه على الايجاد في عامة الممكنات فكل له التصرف في كل منهما على حسب علمه وارادته ، ولا مرجح لنفاذ احدى القدرتين دون الأخرى فتتضارب أفعالهم حسب التضارب في علومهم وارادتهم فيفسد الكون ، بل يستحيل أن يكون له نظام .

ولكن الفساد ممتنع وجودا ، والحاصل النظام والاتقان في بديع صنع الله ، فدل ذلك على توحد الله وتفرده في ملكه سبحانه لاشريك له يقول الامام الغزالي " ان هذه الآيه لا أبين منها في برهان التوحيد وانه لامزيد على بيان القرآن الذي ينبه العقول ، ويوقظ القلوب الغفله عن ادراك حقيقة التوحيد ، وتصديق مايشهد به الواقع وما يقره العقل من استحالة وجود اكثر من اله واحد .

اذن البرهان النقلي والعقلي يثبتان وحدانية الله الخالصه وتنزيهه التام عن الشريك والند والضد بل وعن الصاحبة والولد .

والرسالات السماويه بنصوصها الاصليه دليل واضح على اثبات الوحدانيه لله رب العالمين ، فاليهوديه والمسيحيه والاسلام تتفق على هذه الحقيقة ونصوص التوراه[1] والانجيل والقرآن تشهد على التوحيد .

---

(1) Herve Rousseau: Les Religions " Que Sais je " p 48.

لقد أكد الفيلسوف اليهودي ابن كمونة عقيدة التوحيد لدى أنبياء اليهود جميعا بقوله " وجميع ما وصاهم الله به على لسان رسوله الأمين موسى صلوات الله عليه هو اعتقاد التوحيد ، وترك عبادة الاصنام ، وان لايشركوا بالله شيئا ، وان ينزهوه عن الشبيه والنظير والمعين والمشير وأن يعبدوه وحده ويحبوه ، بكل قلوبهم وأنفسهم وجهدهم ويخافوه ويستعينوا به ويتوكلوا عليه ، وان يعتقدوا انه العالم الذي لا يعزب عن علمه شيء والقادر على كل شيء ، والخالق لكل شيء ، وانه هو الذي يميت ويحيي ويمرض ، ويشفي ولا منجي من قدرته ، وانه الأول والآخر لا اله آخر سواه ، وأمرهم بمكارم الأخلاق"(١)

فعقيدة اليهود تعلن عن نفسها بقول موسى عليه السلام " الرب هو الاله ليس آخر سواه"(٢) وقوله " الرب هو الاله في السماء من فوق وعلى الأرض من أسفل ، وليس سواه "(٣)

وتذكر التوراه في الاصحاح السادس من سفر التثنية أيضا ما نصه " اسمع ياإسرائيل الرب الهنا رب واحد ، فتحب الرب الهك من كل قلبك ، ومن كل نفسك ومن كل قوتك ، ولتكن هذه الكلمات التي أنا أوميك بها اليوم على قلبك وقصها على أولادك ، وتكلم بها حين تجلس في بيتك وحين تمشي في الطريق ، وحين تنام ، وحين تقوم وأربطها علامه على يدك"(٤)

وتتوالى النصوص الكثيره على لسان أنبياء اليهود لتشهد لهذه الحقيقة فيقول داود عليه السلام" يارب لا اله غيرك ، حسب كل ما سمعناه بأذننا "(٥) وقال أشعيا " أنت هو الاله وحدك لكل مما لك الأرض " وقال نحميا " أنت هو الرب وحدك "(٦)

---

(١) ابن مكونة : تنقيح الابحاب في الملل الثلاث ص ٢٦ - ٢٧
(٢) سفر التثنيه : ٤ ص ٣٥
(٣) التثنية : ٣٩ ص٤
(٤) الموضع السابق
(٥) الاخبار الاول ١٧ ص٥
(٦) نح : ٩ ص٢

وفى سفر الخروج نجد النص واضحا صريحا عن توحيد الاله وتفرده بذاته

فى قوله " أنا الرب الهك لا يكن لك آلهه أخرى أمامى "(١)

وفى سفر الزبور " من هو اله غير الرب "(٢)

وكذلك جاء فى سفر الملوك الأول " ليعلم كل شعوب الارض ، ان الرب هو الله وليس آخر "(٣)

وفى سفر الملوك الثانى " أنت هو الاله وحدك ، لكل ممالك الأرض "(٤)

وقد أعلن الله عقيده التوحيد بنفسه فقال عن ذاته " أنا الأول وأنا الآخر "(٥)

وقال كذلك " أنا الرب ، وليس آخر ، لا اله سواى "(٦)

فجميع هذه النصوص الواضحه الصريحة من التوراه انما تتفق على حقيقة واحده وهى ان الله واحد لاشريك له فى الملك ولا ند له ولا ضد بل ولا شبيه له ولا مثيل ، وليس معه غيره ، أخبرنا بذلك أنبياء اليهود وأحبارهم وأثبتوا ما أعلن الله عنه من انه واحد لايوجد معه آخر أعلى منه ولا اله ثالث أدنى منه ، وهو فى علاه لايتغير ولا يتبدل ، ولا ينتقل من حال أو من توحيد الى تثليث ، ولا يجوز عليه المماثله أو المشابهه فهو لا يشبه أحدا من مخلوقاته ولا يماثله أحد فى صفاته ، يورد أشعيا قول الله تعالى فى هذا الصدد فيقول " انى انا الله وليس غيرى اله وليس لى شبه "(٧)

ولذلك يغضب الله من الذين يشبهونه أو يماثلونه فيقول فى هذا " بمن تشبهوننى وتساوونى لنتشابه "(٨)

---

(١) خروج : ص٢٠
(٢) مز : ١٨ ص٣١
(٣) أمل : ١ ص١٦
(٤) أمل : ٢ ص١٩
(٥) اش : ٤٤ ص٦
(٦) اش : ٤٥ ص٥
(٧) اشعيا : ٤٠ ص١٨
(٨) اشعيا : ٤٦ ص٤٥

ان هذا التساؤل من الله تعالى انما يفيد استنكار التشبيه، واستحاله أن يكون هنـــاك مثيل لله تعالى الخالق القادر العالم، له وحده صفات الكمال والجلال والتفرد وعدم المماثلة أو المشابهه . أما الآيات المتشابهات في التوراه والتي شبهت الله بخلقه وأضافت لذاتـه الصفات البشريـه كالنزول والتجلي والكلام والغضب والظهور والأتيان والغيره والتمشـــي في الجنـه الى غير ذلك من صفات التشبيه والتمثيل فمرجعها الى واقعة تجلي الله لموســـى على الجبل وكلامه له ، على الرغم من أن التوراه نفسها تصرح أن هذا التجلي والكلام كـــان بغير مشاهده أو عيان وتذكر النصوص استحاله رؤيه الله فتقـول " فكلمكم الرب من جـــوف النـار فسمتم صوت كلامه ، ولـم تروا الشبـه البتـه "(١)

وتحذر النصوص كذلك من وهم تصور الله فتقول " انكم لم تروا شبيها يوم كلمكم الرب فـــي حوريب من جوف النار "(٢)

وحين تتحدث التوراه عن تجلي الله لموسى وسط لهيب النار ومخاطبة الله لنبيـــه تقرر أن موسى طلب من الله أن يكشف نفسه له ، ولكن الله خاطبه قائلا لاتقدر أن ترى وجهي لأن الانسان لايراني ويعيش وتذكر التوراه في الاصحاح السادس عشر من سفر الخروج ان اللـــه حين تجلى لموسى على الجبل أرتعد الجبل من خشيه الله .

وقد أورد القرآن الكريم أيضا خبر التجلي هذا بقوله تعالى " ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر اليك ، قال لن تراني ، ولكن أنظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني ، فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا ، فلما أفـــاق قال سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين "(٣)

---

(١) التثنيه : ٤ ص١٢
(٢) التثنيه : ٤ ص١٥
(٣) الاعراف : ١٤٣

فالتوراه والقرآن يثبتان واقعة التجلى وتؤكدان استحاله رؤيه الله. فما دام النبى موسى عليه السلام لم يتمكن من رؤية الله فبالتالى يستحيل على البشر رؤيته أو مشاهدته أو وصفه بصفات تماثل صفات البشر فمن أين جاء اذن التشبيه الذى ملأت به اليهود كتبهم ، علما بان التوراه صرحت بنفى المثل عن الله فى أكثر من آيه [1] وان النهى عن التشبيه مذكور فى عده مواضع من التوراه كأساس للتوحيد ، وان ثانى الكلمات العشر المكتوبه على اللوحين هو النهى عن اتخاذ اله دون الله ، وعن الاشراك به أو التمثيل أو التشبيه ، وحذرهم من اعتقاده. ولذلك نجد أبا الحسن السامرى وهو من اليهود السامريين يقول أن اليهود "يعبدون الها لايرى ولا يكيف بكيفيه" [2]

وكذلك نجد كثيرا من مفكرى اليهود يصنعون كتبا تحذر من خطوره التشبيه على العقيده ، وتؤكد عدم التماثل والتشابه بين الله وخلقه ونحاول أن نفسر الآيات المتشابهات التى تذكر فى التوراه أن لله تعالى وجها وعينين وأعضاء مثل اعضاء الانسان على أنها مجاز لأعضاء حقيقية .

والآيات التى تذكر ان الله تعالى ظهر لبعض الناس ظهورا شخصيا وتكلم معهم فينكروها ويصرحون بأنها قد وضعت وحرفت بفعل الكتبة الذين كتبوا التوراه الحاليه فغيروا التوراه الأصليه .

وقد أثبت ابن حزم فى كتابه الفصل فى الملل والاهواء والنحل هذا الوضع والتحريف من خلال فحصه لنصوص التوراه ويبين أن هذه التوراه الحاليه كتبت بعد موسى عليه السلام بحوالى أربع مائه وخمسين عاما كتبها عزرا الوراق بدليل نصها "لم يعرف قبره آدمى الى اليوم" فيعلق على هذا النص ابن حزم بقوله " ان هذا بيان كاف على ان التوراه وضعت وحرفت وانه تاريخ الف بعد دهر طويل ولا بد ... " [3]

---

(١) اسبينوزا : رساله فى اللاهوت والسياسة ص ١٣٧

(٢) ابو الفتح السامرى : التاريخ مما تقدم عن الآيات ص ١٠٢

(٣) ابن حزم : جـ٢ ص ٢٨٤ ـ ٢٨٥

وقد سبق ابن حزم بنقده لنصوص التوراه سبينوزا باكثر من ستة قرون الذى فحص نصوص التوراه الحاليه أيضا وسندها وأثبت ان التوراه الاصلية ليست هى هذه الاسفار الحالية فقال " ان احدا لا يستطيع ان يؤكد ان موسى هو مؤلف الاسفار الخمسة ، بل على العكس يكذب العقل هذه النسبه ، وذلك لان الاسفار الخمسة اشارت الى وقائع لم تحدث الا بعد موسى عليه السلام يقينا وقد جعلته الاسفار شريكا فى صنعها ، وان توراه موسى الحقيقية كانت بنص الاسفار الحاليه أصغر حجما بكثير من هذه الاسفار الخمسة بالاضافة ان اسلوب صياغتها يجزم بان موسى لم يكن واضعها ومن ذلك أيضا طريقة اسناد الضمائر والتعليق على النص ، وينتهى سبينوزا الى ان الذى كتبها شخص آخر عاش بعد موسى بقرون عديدة" (١) ولا يقطع اسبينوزا ان الذى كتبها هو عزرا وان كان يرجح ذلك (٢) وكذلك اثبتت الدراسات التى قام بها الدكتور حجازى السقا فى كتابه نقد التوراه ان التوراه المتداوله بيد اليهود والنصارى ، قد كتبها علماء بنى اسرائيل فى بابل ، ليست هى التى تركها موسى كما يدعى أهل الكتاب (٣) يقول الدكتور السقا وشهادتنا بتحريف التوراه ليست قائمة على انكار كل مافيها . وانما هى قائمة على انهم حذفوا بعض التعاليم ، وأعادوا البعض ، وأضافوا عليه جديدا قال تعالى " ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب " (٤)

والقرآن على التوراه حكم عدل وشاهد امين قال تعالى " وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ، ومهيمنا عليه " (٥)

فالوضع والتحريف ثابت على نصوص التوراه لما فيها من تغير وتبديل وتشبيه وتمثيل لايتفق مع جلال الله ووحدانيته وتفرده وتنزيهه عن مشابهه البشر .

---

(١) اسبينوزا : الرسالة ص ٢٧١
(٢) المرجع السابق ص ٢٧٧ ـ ٢٧٨
(٣) احمد حجازى السقا : نقد التوراه ص ١١
(٤) آل عمران : ٢٣
(٥) المائدة : ٤٨

وقد أبان السيد المسيح عن عبث اليهود بتوارتهم وانهم استبدلوها بأمور تقليدية فيذكر انجيل مرقص قوله " انكم تركتم وصية الله وتمسكتم بتقليد الناس ، وبوضوح حقيقة التبديل والتحريف فيقول " أنتم أبطلتم كلام الله بتقليدكم الذى سلمتموه "(١) ويؤكد ذلك فى انجيل متى فيقول لليهود " أنتم تضلون اذ لا تعرفون الكتب ولا قوه الله "(٢)

فالمسيح عليه السلام يبين ما أصاب التوراه من تحريف وتبديل بصوره بعيده عن الحق بوصفهم الله بصفات ماديه جسمنيه وتشبيهاتهم التى تنفر منها القلوب وتستنكرها العقول بل تؤكد استحالتها كقولهم ان يعقوب صارع الله ، والله صارع يعقوب ، وكانت الغلبة فى المصارعة ليعقوب.

ان هذا النص بهذه الصوره لايمكن تصديقه. أو الاعتراف بانه من نصوص التوراه الأصلية فمن المستحيل ان يصارع يعقوب الانسان الله الخالق القادر الذى خلق يعقوب وغيره من البشر فكيف يمكن قبول ذلك النص ، ان هذا النص لايمكن قبوله أو تصديقه ، ولذلك هو دليل صدق على مدى التحريف والتغيير الذى أدخل على النصوص الاصليه ، والتحريف والتبديل وقع لا محاله ، وقد اشار القرآن الكريم لواقعة التحريف والتبديل بقوله تعالى عن اليهود " ومن الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه "(٣)

وقد شهد شاهد منهم على واقعة التحريف والتبديل ذلك هو السموأل الحبر اليهودى(٤) الذى أسلم وألف كتابه " بذل المجهود فى افحام اليهود " نقد فيه التوراه الحاليه وأبان عن تبديل اليهود لنصوص التوراه الاصليه وأوضح ان اليهود كذبوا على الله وحرفوا

---

(١) مرقص اصحاح ٧ عدد ٨

(٢) متى اصحاح ٢٢ عدد ٢٩

(٣) النساء : ٤٦

(٤) هو شموئيل بن يهوذا المتوفى سنة ٥٧٠ هـ الذى كان يهوديا ثم اسلم وسمى نفسه بعد اسلامه السموأل بن يحيى

التوراه بالزيادة والنقصان ، وان التوراه الموجوده الآن ليست التوراه الحقيقية المنزلـــه على موسى ،لما فيها من مغالطات وتشبيهات لاتتفق مع الذات الالهيه • وينسبها الى عـــزرا قال " فلما رأى عزرا أن القوم قد أحرق هيكلهـا وزالت دولتهم ، وتفرق جمعهم ، ورفـــع كتابهم ، جمع من محفوظاته ، ومن النصوص التي يحفظها الكهنة مالفق منه هذه التوراه التي في أيديهم ، ولذلك بالغوا في تعظيم عزرا هذا غاية المبالغة ، وزعموا ان كتابا يحفظ لهم دينهم • فهذه التوراه التي في أيديهم على الحقيقة كتاب عزرا وليست كتاب الله ، وهذا يدل على انه - أعني الذي جمع هذه الفصول التي بأيديهم - رجل فارغ جاهل بالصفات الالهيه ، فلذلك نسب الى الله تعالى صفات التجسيم والندم على ما مضى من أفعاله"(١)

ولذلك قال ابن كمونه " يجب ان يكون الاصل فيما ينسبة النبي الحقيقي أن يعـــرف الناس ان لهم صانعا واحدا حيا قادرا ، لاشريك له في ملكه ولا شبيه ولانظير له "(٢) ، فابن كمونة الفيلسوف اليهودي يرفض ان ينسب الى الله تشبيهات لاتتمشى مع صفـــة الوحدانية والتنزيه المطلق لذاته•

وكذلك فحص رحمه الله الهندي في كتابه اظهار الحق سندا لتوراه ، وقطع بانـــه لاسند لكون هذه التوراه المنسوبه الى موسى عليه السلام من تصنيفه ، ومن ثم فان التوراه الحالية هي كتاب موضوع منحول ، وليست وحيا منزلا ، ونسبتها الى موسى عليه السلام باطل وزور"(٣) وفي الواقع ان فحص رحمه الله لسند التوراه قد لخص لنا حجج السابقين من علماء المسلمين واليهود والنصارى لنقد التوراه امثال ابن حزم ، والجزيني ، والسموأل والقرطبـــي ، وسبينوزا ، وهورن ، وهارس وآدم كلارك وغيرهم"(٤)

---

(١) السموأل : بذل المجهود في افحام اليهود ص ٤٤
(٢) ابن كمونه : تنقيح الابحاث ص ٢٣
(٣) رحمه الله : اظهار الحق حـ١ ص ١٠٢
(٤) د• محمد عبد الله الشرقاوي : في مقارنه الاديان بحوث ودراسات ص ١٢١ - ١٣٦•

وفي العصر الحديث أثبتت دراسات صوريس بوكاي لنصوص التوراه في ضوء العلم الحديث التحريف والتبديل لعدم توافق النص مع العلم وذلك في كتابة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة !! من ذلك كله نستطيع ان نتبين مدى التحريف والتبديل لنصوص التوراه الاصلية وان التوراه الحالية تغيرت كثيرا عن الاصل الذي يشهد بالتوحيد الخالص لله تعالى والتنزيه المطلق لذاته عن المشابهه أو المماثله .

ولهذا حرص المسيح عليه السلام على تصحيح ما أصاب عقيدة اليهود من اضطراب ، وما أصاب نصوصها من تحريف وتبديل وكذلك على تفسير ما اختلف حوله الربانيون والاحبار ، وعلى تخليص الدين من بدع وأوهام الناقلين يقول يسوع المسيح : أتظنون أني بعثت لأبطل الشريعة والانبياء ، الحق اقول لكم : لعمري اني لم آت لأبطلها ، ولكن لأحفظها "(١)

ويذكر انجيل متى عن لسان المسيح قوله : لاتظنوا اني جئت لأنقض الناموس أو الانبياء ماجئت لأنقض بل لأكمل ، فاني الحق اقول لكم الى ان تزول السماء والارض ، لايزول حرف واحد أو نقطة من الناموس حتى يكون الكل "(٢)

اذن رسالة المسيح لم تخرج في حقيقتها ولم تختلف في جوهرها عن كافة الرسالات من انها تدعو لعبادة الله وحده وعدم الشرك به أحدا ،يؤكد ذلك انجيل مرقص عن لسان المسيح " اسمع يا اسرائيل الرب الهنا رب واحد "(٣)

---

(١) برنابا : ٣٨ : ٢ ـ ٣
(٢) متى : ١٧ / ١٨
(٣) مرقص : ١٧ / ١٨

ويقول الاصحاح السابع عشر من انجيل يوحنا عن لسان المسيح " هذه هي الحياه الابديـــة أن يعرفوك انت الاله الحقيقي وحدك ويسوع الذي ارسلتـــــه . "

هكذا بدأت دعوة المسيح عليه السلام بتأكيد التوحيد ، واثباته كأصل للعقيدة ، وانـه رسول من عند الله ليبلغ هذه الدعوة التي دعا اليها الانبياء قبله ، وقد سأله اليهود عمـــن يشهد له بما يقول ؟ فقال الرب الذي أرسله هو الذي يشهد له (١)

ويقول القديس بولس في رسالته الى صديقه بتماثاوس " انه يوجد اله واحد وسيط واحد بين الله والناس الانسان يسوع المسيح " (٢) ويؤكد القديس بولس الوحدانيه بقوله في رسالتـه الى أهل روميـــه أن الله واحد وفي رسالته الى اهل غلاطيـة " ولكن الله واحد " (٣)

ويورد الاصحاح الخامس من انجيل يوحنا قول السيد المسيح عليه السلام معنفا قومـــه اليهود على عدم ايمانهم بالله الواحد بقوله كيف تقدرون ان تؤمنوا ، وأنتم تقبلون مجـــدا بعضكم من بعض ، والمجد الذي من الاله الواحد لستم تطلبونه " (٤)

ويذكر يعقوب الحواري ضروره الايمان بوحدانيه الله بقوله : أنت تؤمن أن الله واحد حســـنا تفعل " (٥)

فالوحدانية هي اصل كل دين وهي مفتاح دعوة جميع المرسلين والوصيه التي يوصي المسيـــح بالتمسك بهـا .

يحدثنا القديس مرقص في انجيله انه بينما كان السيد المسيح جالسا مع تلاميذه وحواريـه يشرح لهم تعاليم الله أتاه احد الناس يسأله : أية وصية هي أول الكل .

---

(١) يوحنا : ٢/١٧ مرقص : ٢٩/١٢
(٢) أمـــي : ٥/٢
(٣) رو ٢٠/٣
(٤) عـل : ٢٠/٣
(٥) يعقـوب : ١٩/٢

فأجابه المسيح : ان اول كل الوصايا هى اسمع ياأسرائيل الرب الهنا رب واحد ، وتحب الرب الهك من كل نفسك ، ومن كل فكرك ومن كل قدرتك ، هذه هى الوصيه الاولى .

ويستحسن الرجل قول السيد المسيح ، ويتيقن بها من صدق نبوته ، فيرد عليه قائلا " جيدا يامعلم بالحق قلت ان الله واحد ، ليس آخر سواه "(1) ونفس الوصيه يوردها انجيلا متى ولوقا ، وفيها يقرر السيد المسيح انا اول كل الوصايا ، ولباب الدين من أساسه هو توحيد الله وعبادته سبحانه وحده بكل قوانا وقدراتنا . ومن كل فكرنا وعمق قلوبنا وحين يسمع السائل ذلك يطمئن الى صدق السيد المسيح ، ويؤمن حقيقة رسالته ، ويتأكد انه نبى مرسل من قبل الله الواحد الذى يدعو اليه كافة الانبياء وجميع العقلاء .

ويذكر القديس متى فى انجيله انه بينما كان السيد المسيح يسير فى الطريق ، فاذا بواحد يتقدم اليه ويقول له : ايها المعلم الصالح اى صلاح اعمل لتكون لى الحياه الابديه : فقال له " لماذا تدعونى صالحا ، ليس احد صالحا الا واحد هو الله ، ولكن اذا أردت ان تدخل الحياه الابديه فاحفظ الوصايا "(2)

ونجد هذه الأقوال مسطوره أيضا فى الاصحاح العاشر من انجيل مرقص اذ يقول " ان احد الاشخاص تقدم يسأل السيد المسيح طالبا منه ان يرشده الى الاعمال الخيره ، التى تؤدى به الى دخول الجنه ، وقبل أن يبدأ الرجل سؤاله ، يخاطب السيد المسيح فى احترام وتقدير ويقول له " ايها المعلم الصالح ، ولكن السيد المسيح الانسان بدلا من أن تسره هذه التحية ، ووصفه بالصلاح فانه يثور وينضب رافضا بشده أن ينسب اليه الصلاح أو أن تخلع عليه صفه من صفات الله لأنه بشر غير معصوم ، لذلك فانه لايمكن ان يكون دائما صالحا ، ولكن الصلاح لله وحده ، المختص بكل صفات الصلاح والكمال لايشاركه فيها أحد ولا يماثله أو يشبهه فيها غيره .

---

(1) مرقص : ٢٩ ص ١٢

(2) متى ١٧ ص ٢

اذن الوحدانيه ثابته وواضحه في عقيدة النصارى الاصليه بشهاده رسولها عيسى عليه السلام ، وكلام المسيح عن الله الواحد الذى لا اله غيره ولا شريك له في ملكه ولا شبيه له في صفاته.

وقد اجمعت النصوص الاصليه على هذه الحقيقة التى هى جوهر كل دين ولكن ما يذهب اليه النصارى اليوم من اعتقاد هو ما وضعه لهم بيطر (شمعون الصفا)[1] اذ قال " نؤمن بالله الواحد الاب ، مالك كل شيء صانع مايرى ، وما لايرى : نؤمن بالرب المسيح ابن الله الواحد ، بكر الخلائق كلها ، ولد من ابيه قبل العوالم كلها ، ليس بمصنوع ، اله حق من جوهر أبيه الذى بيده اتقنت العوالم كلها ، وهو خالق كل شيء من أجلنا معشر الناس ، ومن اجل خلاصنا نزل من السماء ، وتجسد من روح القدس ، وصار انسانا حملت به مريم وولد من مريم البتول فأوجع وأولم وصلب ، ودفن ،وقام في اليوم الثالث من بين الموتى مثل ما كتب بذلك الانبياء (وهذا اختلاق وتلفيق لم يقل به نبى من الانبياء) ثم صعد الى السماء ، وجلس عن يمين ابيه وهو مستعد للمجيء ، تاره آخرى للقضاء بين الاموات والاحياء ، ونؤمن بالروح القدس الذى يخرج من الاب والابن وبه كان يتكلم الانبياء . ان هذه النصوص التى وضعها بيطر بتصريف وتحريف انما ينقض بعضها بعضا وتخالف الحقيقة الثابتة للوحدانية الاصيلة في عقيدة النصارى ، فاول النص يؤكد ان الله الواحد الاب مالك كل شيء ، صانع ما يرى ومالايرى ، ثم يتبعه بقوله الرب الواحد المسيح اله حق من جوهر أبيه ، فأول النص فيه شهاده بأنه واحد ثم يليه الشهاده عليه تعالى بان له ولدا ، هو اله مثله ، وانه من جوهره ، وهذا في غايه الكفر والشرك والفساد وفي غاية الضد والتناقض لوحدانيه الله الواحد الاحد لاشريك له ولا ولد.

---

(١) ينسب الى شمعون الصفا رسالتان من الرسائل الكاثوليكية ، ويذكر بعض المؤرخين انه ألف انجيلا ونسبه الى مرقص انظر تاريخ الامه القبطية حـ٢ ص ٥٦ ، قاموس الكتاب المقدس ص ١٧٤

اما قوله ان الله خالق كل شيء فقد تبعه بقوله ونؤمن بان المسيح خالق الاشياء كلها الذي بيده أتقنت ، وأثبت ان مع الله الها ، خالقا لكل شيء . وهذا تناقض واضح

وكذلك قوله ان الله تعالى صانع مايرى ومالايرى فدخل فيه المسيح ، لانه بالضرورة مما يرى ، ثم اعقب ذلك قوله المسيح خالق كل شيء ، لانه غير مصنوع وهذا تناقض وتخليط لا يقبله عقل ولا منطق سليم لانهم لو نظروا بعقولهم لأدركوا التناقض في اقوالهم عن المسيح من انه ولد قبل العوالم ، وهو بكر الخلائق كلها . فهل خلق كل شيء قبل ميلاده ، وهو عدم ؟ أم بعد ميلاده وهو صبي رضيع ؟

ومن كان يدبر السموات والارض ومن فيهما قبل ميلاده وايجاده ؟ وكيف يكون بكر الخلائق وهو الخالق لجميعها .

ان هذه الاقوال جميعها في غاية التناقض والفساد . لايقبلها من له عقل ودين ، وبيان تحريفها واضح وزيفها أكيد بالأضافة الى اقوالهم ان المسيح اله حق من جوهر أبيه ثم زادوا فقالوا انه نزل من السماء فتجسد في بطن امه . فكيف يمكن ان يتجسد من ليس بجسد تعالى الله عن قول الظالمين .

فالله خالق الجواهر والاجسام وليس بذي جسم ولا جوهر ، فكيف يكون هو المسيح أو أن يتجزأ ليستقر جزء منه في بطن امه مريم يختلط بدمها .

ان النصوص الاصليه من الانجيل تبطل هذه المزاعم كلها ، وتثبت فسادها اذ يصرح لوقا في الفصل الرابع من قصص الحواريين ، ان الله خالق العوالم بجميع ما فيها ، وهو رب السموات والارض ، ولايسكن الهياكل التي طبعها الابدي ، ولايحتاج الى شيء من الاشياء ، لانه هو الذي اعطى الناس الهياكل والنفوس ، وجميع ماهم فيه من وجودنا به وحياتنا منه .

فهذا النص انما يبين ان الله خالق كل شيء ، اله متعال عن البشر جميعا وان عيسى نبي الله مخلوق له كسائر المخلوقات.

أما قولهم في المسيح انه اله من جوهر ابيه ، واله مثله ، انما يقتضي هذا القول المماثلة ولابد ، وانا نتساءل اذ كان هذا التماثل حقا فما الذي جعل احدهما أبا والاخر ابنا ، وما الذي خص هذا بالأبوه وهذا بالبنوه دون تعاكس .

ان جميع هذه الاقوال تحمل فسادها وبطلانها في ذاتها ، وهي أيضا مردوده بقول أناجيلهم في بشريه المسيح حيث يذكر متى في الفصل التاسع من انجيله ان رجلا قال للمسيح يا أيها الخير ، فقال عيسى :لم سميتني خيرا ، ان الخير هو الله تعالى.

ان هذا القول من عيسى عليه السلام يدل دلالة قاطعة على ان عيسى ليس هو الله ، وان الله هو وحده الذي يسمى خيرا .

وأيضا ما ذكره متى في الفصل الثالث عشر من انجيله " ان عيسى عليه السلام لما انتقل الى المدينة التي ولد بها استخفّ الناس به فقال : لايستخف بنبي الا في مدينته.

فهذا القول يثبت بلاشك ان عيسى نبي وانه مثل غيره من الانبياء بشرا يعيش وينتقل في المدن فهو ليس باله ولا ابن اله.

ويتناقض شمعون الصفا نفسه في اقواله حينما يذكر ان اليهود رفضوا التصديق بنبوة عيسى فقال لهم : يارجال بني اسرائيل استمعوا مقالتي ان المسيح هو رجل ظهر لكم من عند الله بالقوه والتأييد والمعجزات التي أجراها الله تعالى على يديه وانتم كفرتم به.

ان هذا النص من شمعون يناقض ما زعمه من ألوهيه عيسى ويشهد بان عيسى رجل من جمله الآدميين . وانه نبي من الانبياء المرسلين الذين ايدهم الله بالمعجزات ، وأن كل

ماجرى منها على يديه انما هو بقدره الله تعالى وقوته وليس للمسيح فيها سوى الكسب فاين هذا الحق الواضح من ظلمة الجهل الباطل الذى زعمه شمعون الصفا فى قوله بألوهية عيسى النبى أو ان اللاهوت لما التحم بناسوت عيسى وهو جسده ، صارا عيسى الها تاما غير مخلوق.

يقول لوقا فى انجيله ان عيسى بعد ماقام من قبره لقيه رجلان من تلاميذه وهما القلوباس ولوقا ، فقال لهما : مالكما حزينان ؟ فقالا له : كأنك غريب وحدك فى مدينة القدس لم تعرف ماجرى فيها فى هذه الايام من أمر المسيح الذى كان رجلا مصدقا من الله فى مقاله وأفعاله وعند الناس .

ان هذه الشهاده من تلميذ السيد المسيح عليه السلام تؤكد انه رجل مصدق من الله ، اذن فليس هو بخالق ولا اله ولا ابن اله.

وبرهان آخر على ان عيسى ليس هو الله ولا ابن الله قول مرقص فى انجيله فى الفصل الثالث عشر " ان الحواريين سألوا عيسى عن الساعة أى القيامه فقال لهم : ان ذلك اليوم لاتعلمه الملائكة الذين فى السماء ، ولايعلمه الا الآب وحده يعنى الله .

ان هذا النص انما يدل على ان الله تعالى منفرد بعلم الساعة وحده ان وعيسى لايعلمها ، وذلك دليل على ان الله ليس هو عيسى وان عيسى رسول من عند الله لايعلم الا ماعلمه الله تعالى فهو اذن ليس بالله ولا ابن اله .

ويذكر كذلك يوحنا فى الفصل السابع عشر من انجيله ان المسيح رفع عينيه الى السماء وتضرع الى الله الواحد الخالق ، وقال : يجب على الناس ان يعلموا انك انت الله الواحد الخالق وانك أرسلتنى " ان هذا القول من المسيح انما هو اعتراف صريح بانه رسول من عند الله وليس هو بالله .

وكذلك ذكر متى فى الفصل الرابع من انجيله ان الشيطان دعا المسيح الى أن يسجد له وآراه ممالك الدنيا وزخرفتها ، وقال له : اسجد لى ، نجعل لك هذا كله ، فقال المسيح انه مكتوب على كل بشر انه لايعبد الا الله تعالى ولا يسجد لشئ سواه.

ان هذا القول انما يدل دلاله أكيده على أن السيد المسيح برئ من الألوهيه التى تنسب اليه وانه لو كان الها لما جرأ الشيطان ان يقول له هذا القول. وفى جواب عيسى المسيح اعتراف صريح بان الله تعالى هو الاله الذى لا اله إلا هو ولا يسجد احد الا له تبارك وتعالى.

فالنص الأول يدل على ان الله هو وحده الخالق لكل شئ وهو رب السموات والأرض وما بينهما وهذا هو توحيد الربوبيه.

والنص الثانى يبين ان الله وحده المستحق للعباده ، وهذا توحيد ألوهيه كما هو ثابت فى جميع الديانات السماويه.

يقول يوحنا فى آخر انجيله ان عيسى قال للحواريين : انى ذاهب الى أبى وأبيكم والهى والهكم .

وفى انجيل متى فى الفصل العاشر ان عيسى عليه السلام قال للحواريين كل من قبلكم وآواكم فقد قبلنى وآوانى ، ومن قبلنى وآوانى فانما قبل من أرسلنى .

ويذكر كذلك يوحنا فى الفصل الخامس من انجيله ان المسيح قال ما جئت لأعمل بمشيئتى بل بمشيئة الذى أرسلنى.

ان جميع هذه النصوص انما تؤكد ان الله ليس هو عيسى المسيح ، وان المسيح ليس الها ولا ابن اله ، انما هو بشر رسول من عند الله ، ارسله لبيان وتأكيد التوحيد دين جميع الانبياء ولهذا خاطب الله عيسى بقوله " أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ماليس لى بحق ، ان كنت قلته فقد علمته ، تعلم ما فى نفسى ولا أعلم مافى نفسك ، انك أنت علام الغيوب ، ما قلت لهم الا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله

ربى وربكم ، وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ، فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم ، وأنت على كل شئ شهيد "[1] ان هذه الآيات البينات تؤكد أن أصل العقيده هو التوحيد ، وان عيسى عليه السلام دعا قومه الى اقرار هذا التوحيد ، وقد آمن بدعوته في وقته حوالى مائه وعشرين رجلا وأمرأتان ، وانهم كانوا مستترين يدعون الى دينه سرا ، وبقوا على هذه الحاله لايظهرون مده ثلاثمائه سنة بعد رفع المسيح عليه السلام ، وفي خلال ذلك ذهب الانجيل المنزل من عند الله عز وجل الا فصولا يسيره أبقاها الله تعالى حجه عليهم "[2] هذا ماذكره ابن حزم ليبين أصل عقيده التوحيد لدى النصارى وماحدث لهذه العقيده من تبديل وتحريف وتخليط حيث خلطوا في أقوالهم بين الله المعبود وبين المسيح البشر الرسول فزعموا ان الله هو المسيح ابن مريم وهذا كفر صريح بقول الله تعالى " لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم "[3] فمستحيل ان يكون الله بشرا أو أن يكون المسيح الها . فهو رسول من عند الله الذى ليس كمثله شئ يقول الله تعالى " ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقه كانا يأكلان الطعام أنظر كيف نبين لهم الآيات ، ثم انظر أنى يؤفكون "[4] بهذا النص حدد الله تعالى طبيعه المسيح الرسول وبشريته وانه انسان يأكل كغيره من البشر ، فهو ليس الها ولا ابن اله كما زعموا ، استنادا الى ان المسيح ولد من غير أب ، ولكن هذا الزعم يبطله قول الله تعالى " ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم ، خلقه من تراب ، ثم قال له كن فيكون "[5] فالمسيح مثل آدم بشر نبى رسول كان خلقه معجزه مثل آدم فاذا كان المسيح ولد من غير أب فآدم خلق من غير أب وأم ، فلماذا تكون الألوهية لعيسى دون آدم .

ان عيسى عليه السلام النبى الرسول يعترف بانه جاء معلما كسائر الرسل . يقول لتلاميذه لاتسموا أباكم في الارض فان اباكم الذى في السماء وحده ، ولاتدعوا معلمين ، فان

---

(١) المائدة : ١١٦ ، ١١٧
(٢) ابن حزم : الفصل جـ٢ ص٥
(٣) المائدة : ١٧ ، ٧٢
(٤) المائدة : ٧٥
(٥) آل عمران : ٥٩ :

معلمكم المسيح وحده . فهذا القول من عيسى عليه السلام يبين أن الله وحده في السماء حتى وأن المسيح هو المعلم في الأرض وحده ، فهو بهذا النص أيضا ليس الها ولا ابن اله ولا هو أحد ثلاثه هي أب وابن وروح قدس الكل شيء واحد . ينتقد ابن حزم فكره الثالثوث فيقول كيف يمكن أن يكون الواحد ثلاثه والثلاثة واحدا ، ان الواحد يخالف الثلاثه ومن زعم غير ذلك فهو خلط وكفر صريح . قال الله تعالى " لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة"(١) ان هذا القول خروج عن التوحيد وتبديل وتخليط وقد أوضح الله تبدلهم وتغيرهم لعقيده التوحيد بقوله عنهم " ومن الذين قالوا انا نصارى ، أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به "(٢) لقد نسى النصارى أصل التوحيد الذي ذكروا به ولذا جاء الاسلام ، الرسالة الاخيرة والدين التام ، فدخل في حوار مع أهل الأديان الذين زاغوا عن الحق ، وأبتعدوا عن التوحيد فأشركوا وشبهوا وقال لهم "قل ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمه سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ، ولايتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فان تولوا فقولوا اشهدوا أنا مسلمون "(٣)

فالاسلام يؤكد دعوه التوحيد الخالص(٤) ، والتنزيه المطلق لله رب العالمين فليس هناك اله آخر غيره ، ولا رب سواه . فهو وحده المالك الخالق القادر له الخلق ، وله الأمر كله كما قال سبحانه عن نفسه " آلا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين "(٥) ويدخل في هذا التوحيد الايمان بقدر الله سبحانه : أي الايمان بان كل محدث صادر عن علم الله عز وجل وارادته وقدرته .

فهذا التوحيد معناه الاقرار بان الله هو الفاعل المطلق في الكون بالخلق ، والتدبير ، والتغير والتسير ، والزيادة والنقص ، والاحياء والامانة ، لايشاركه أحد في فعله سبحانه .

---

(١) المائدة : ٧٣

(٢) المائدة : ١٣

(٣) آل عمران : ٦٤

(٤) A.C. Bou Quet: Comparative Religion p 201-207 Pelican Books. England.

(٥) الاعراف : ٥٤ .

ولاتكاد تخلو سوره من سور القرآن الكريم من بيان هذا التوحيد ، وتأكيده لأنه الأساس بالنسبة لأنواع التوحيد الاخرى ، توحيد الألوهيه ، وتوحيد الذات والاسماء والصفات ، يقول الله عن توحيد الربوبيه " أمن خلق السموات والأرض ، وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجه ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هو قوم يعدلون، أمن جعل الأرض قرارا ، وجعل خلالها أنهارا ، وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزا أإله مع الله بل أكثرهم لايعلمون ، أمن يجيب المضطر اذا دعاه ، ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلا ما تذكرون"(١)

ان هذا الاستفهام المتكرر فى الآيات انما يفيد انكار وجود آلهه أخرى مع الله تشاركه فى الخلق ، فله وحده الخلق والامر ، وهو على كل شئ قدير فالله هو الخالق وحده لكل مظهر من مظاهر الوجود . ثم يبين الله فضل عقيده التوحيد بقوله تعالى " أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار "(٢)

فأصل العقيده وجوهر الاعتقاد هو ان الله واحد لاشريك له ولا ند ولا شبيه له وقد حكى الله سبحانه وتعالى عن المشركين انهم كانوا يقرون بأن الله وحده هو الخالق لكل شئ وظلوا مع ذلك مشركين ، لأنهم لم يوحدوا الله فى ألوهيته ، فعبدوا غيره سبحانه وقد ذكرهم بقوله تعالى " وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون "(٣) فهؤلاء قد أشركوا فى العباده مع الله آخرين ، وأكثر الذين ضلوا لاينكرون الخالق وربوبيته على الخلق ، ولكن معظم كفرهم من عبادتهم غير الله عز وجل .

---

(١) النمل ٦٠ - ٦٢
(٢) يوسف : ٣٩
(٣) يوسف : ١٠٦

وقد أمرنا الله تعالى بعبادته وحده ، لأن العباده لاتكون لغير الله وهذا هو توحيد الألوهيه ، فالله وحده هو المستحق للعباده والخضوع والاستسلام ، ولاتصح عباده الله الا بهذه المعانى مكتمله ، لأن توحيد العبوديه أى الألوهيه متضمن توحيد الربوبية فمن لايخلق يكون عاجزا والعاجز لايصلح أن يكون الها قال تعالى " أفمن يخلق كمن لايخلق أفلا تذكرون "(١) وقال عز وجل " قل لوكان معه آلهه كما يقولون اذا لابتغوا الى ذى العرش سبيلا "(٢)

فالله وحده هو الخالق القادر العالم رب السموات والأرض وهو وحده المستحق للعباده ، له الاسماء الحسنى والصفات الكامله ، لايشوبه نقص ، اذ كيف يخلق من كان غير كامل وكيف يعبد من كان ناقصا ومن هنا كانت شهاده أن لا اله الا الله متضمنة فى الاسلام جميع أنواع التوحيد ، توحيد الربوبية ، وتوحيد الألوهيه ، وتوحيد الذات والأسماء والصفات قال تعالى " الله لا اله الا هو الحى القيوم ، لا تأخذه سنه ولانوم له مافى السموات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه ، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولايحيطون بشىء من علمه ، الا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ، ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم "(٣)

فهذه الآيات البينات جمعت التوحيد كله ، توحيد الربوبيه ، وتوحيد الألوهيه وتوحيد الذات والأسماء والصفات ، فان الذى خلق السموات والأرض هو وحده الحى الذى لايموت ، القيوم ، العليم ، الحفيظ ، العلى العظيم فهذه هى ذاته وأسماؤه وصفاته. أما الذين يقرون بان الله رب كل شىء ، ولا يوحدونه فى ألوهيته فيشركون معه غيره فى عبادته ، ولايوحدونه فى اسمائه وصفاته فيعطلونها أو يشبهونها بصفات المخلوقين ، أو يؤولونها

---

(١) النحل : ١٧
(٢) الاسراء : ٤٢
(٣) البقره : ٢٥٥

تأويلا ت فاسده لاوجه لها تخرجهم عن التوحيد الخالص والتنزيه المطلق فقد ضلوا ضـــلالا بعيدا ، وأشركوا مع الله الهه أخرى وشبهوه بغيره من المخلوقين • ولذلك كان التوحيـد متحققا في قوله تعالى " قل هو الله أحد ، الله الصمـد ، لم يلد ولم يولـد ولم يكن لـــه كفوا أحـد " (١)

لقد أبان الله عن توحده في ذاته بقوله قل هو الله احد بمعنى لا تركيب ولا تأليف بوجه مـن الوحدة فيه فلا تثليث بزعمهم أن الثلاثـه واحد أو الواحد ثلاثه وهو الصمد اشاره الى كونـه تعالى لاشريك له ولاتـد ولاضـد فكل شيء في الوجود يصمد اليه ويرجع له فله الخلق والأمـر فعال لما يريـد •

ولم يلد ولم يُولد يعني انه تعالى غير البشر جميعها وخلافهم ولا يجوز عليه مايجوز علـى البشر من توالد وتكاثـر وتغيير •

ولم يكن له كفوا احد أي لامثيل ولا شبيه لذاته تعالى •

وقد جاء نفي التشبيه لله مجملا في القرآن الكريم كقوله تعالى "ليس كمثله شيء " (٢) حتى لايكون هناك مشابهه بين الله وبين البشر بأي صوره من الصور أو صفه من الصفـــات قال تعالى منزها ذاته عن صفات المخلوقين " سبحان ربك رب العزه عما يصفون " (٣) فالله نزه نفسه عن الصفات التي يصفه بها العباد •

ولذلك انشغل المفكرون المسلمون جميعا ببحث عقيده التوحيد وبيان مسألـــة الصفات وأتفق أهل السنه على أن الله تعالى ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاتـــه ولا في أفعاله • يقول الامام احمد بن حنبـل " لايوصف الله الا بما وصف به نفسه أو وصفـه به رسوله ، لانتجاوز القرآن والحديث •

---

(١) الاخلاص : ١ ـ ٤
(٢) الشورى : ١١
(٣) الصافات : ١٨٠

وقال نعيم بن حماد شيخ البخاري " من شبه الله بخلقه كفر ، ومن جحد ماوصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله كفر ، وليس فيما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله تشبيه ولاتمثيل " (١)

ويجمل الواسطي عقيدة التوحيد عند أهل السنة والجماعة بقوله " ليس كذاته ذات ، ولا كأسمه اسم ، ولا كفعله فعل ، ولا كصفته صفه الا من جهه موافقه اللفظ ، وجلت الذات القديمه ، أن تكون لها صفه حديثه ، كما استحال أن يكون للذات المحدثه صفه قديمه " (٢)

أما المعتزلة فقد ذهبت في بيان التوحيد الى القول بأن الله واحد ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، ليس بجسم ولا شبح ولاجثه ولا صورة ولا لحم ولا دم ، ولا شخص ولا جوهر ولا عرض ، ليس بذى أبعاض وأجزاء وجوارح وأعضاء ولا بذى جهات ... ولاحلول . ولا يوصف بشيء من صفات الخلق الدالة على حدوثهم ولا يوصف بأنه بنتاه ، ولا والد ولا مولود ... ولايجوز عليه الفناء ولايلحقه العجز والنقص تقدس عن ملامسه النساء ، وعن اتخاذ الصاحبه والأبناء " (٣).

وقد أوضح ابن تيميه عقيده التوحيد وسأله الصفات بقوله " والحقيقة في صفات الله تعالى مانصه مذهب أهل الحديث وهم السلف من القرون الثلاثة ومن سلك سبيلهم من الخلف ان هذه الأحاديث تمر كما جاءت ويؤمن بها ونصدق بمعناها عن تأويل يفضي الى تعطيل ، وتكييف يفضي الى تمثيل ... وقد قيل انها تجرى على ظاهرها مع نفي الكيفية ، . والتشبيه عنها ... وذلك أن الكلام في الصفات

---

١ ـ شرح القاري على صحيح البخاري ص ١٥ .
٢ ـ تفسير القرطبي : حـ ١٦ ص ٩
٣ ـ القاضي عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة ص ٥٥٠ .

فرع على الكلام فى الذات ، يحتذى حذوه ، ويتبع فيه مثاله ، فاذا كان اثبات الذات اثبات وجود لااثبات كيفيه ، فكذلك اثبات الصفات اثبات وجود لا اثبات كيفيه .. فنقول ان له يدا وسمعا . كما جاء ولا تقول ان معنى اليد القدره ومعنى السمع العلم [1] كما تقول المعتزله .

فابن تيميه يأخذ بظاهر اللفظ كما جاء فى النص دون كيفيه أو تشبيه . وقد ذكر الرازى الحكمة من متشابه الصفات فقال ! ان القرآن يشتمل على دعوة الخواص والعوام وطبائع العوام تنبو فى أكثر الأمور عن ادراك الحقائق فمن سمع من العوام فى أول الامر اثبات موجود ليس بجسم ولا متحيز ولامشار اليه ظن أن هذا عدم ونفى محض فيقع فى التعطيل فكان الاولى أن يخاطبوا بألفاظ دالة على بعض ما يناسب وما تخيلوه وماتوهموه ، ويكون ذلك مخلوطا بما يدل على الحق الصريح [2]

والحق الصريح هو أن الله واحد أحد ، ليس كمثله شيء ، رب كل شيء وهو المستحق وحده العبادة والخضوع والاستسلام . وهذا هو جوهر الاسلام . أصل كل الأديان قال تعالى " ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه" [3] .

---

١ ـ ابن تيميه : الرسالة المدينة ص ٧

٢ ـ الرازى : مباحث فى علوم القرآن ص ٢٨٤

٣ ـ آل عمران : ٨٥ .

مـــراجع البحـــــث

١ ـ القـرآن الكريـــــم ٠

٢ ـ كتب التوراه والأنجيل فى الكتاب المقدس) ترجمة البروتستانت بمصر سنة ١٩٧٠ م

٣ ـ انجيـل برنابـــــــا

٤ ـ صحيـح البخـارى

٥ ـ ابن تيميه : الرسالة المدنية السلفية بمصر سنة ١٣٩٤ هـ

٦ ـ ابن الجوزى : هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى المكتبه الفنية القاهرة سنة ١٣٣٩ هـ

٧ ـ ابن حـزم : الفصـل فى الملل والاهـواء والنحـل مطبعة المثنى ببغـداد ٠

٨ ـ ابن كمونه : تنقيح الأبحاث فى الملل الثلاث نشر المستشرق اليهودى موشى يرلمان لـــــــوس انجلـــوس سنـة ١٩٧١ م

٩ ـ أبو عبدالله محمد القرطبى (الجامع لأحكام القـــرآن) ٠

١٠ـ أبى عبيده الخزوجى : مقامع هامات الملبان نشر د ٠ محمد شامة تحت عنوان بين الاســـــلام والمسيحية مكتبه وهبه القاهرة سنة ١٩٧٢ ٠

١١ ـ أحمد السقا حجازى :الله وصفاته فى اليهودية والنصرانية والاسلام دار النهضة العربية سنة ١٩٨٧

١٢ ـ : نقد التوراه مكتبة الكليات الأزهرية ـ الأزهر القاهرة سنة ١٩٧٦

١٣ ـ اسبينوزا : رسالة فى اللاهوت والسياســة ٠

١٤ ـ الجوينى : شفاء الغليل فى بيان ما وقع فى التوراه والانجيل من تبديل نشر د ٠ أحمد السقـــــا الريـــاض سنـة ١٤٠٣ هـ

١٥ ـ الشهرستانى : الملل والنحل على هامش الفصل لابن حزم مطبعة المثنى ببغـداد

١٦ ـ الغزالى : الرد الجميـل لالهيـة عيسـى بصريح الانجيل تحقيق د ٠ محمد عبدالله الشرقاوى دار الهداية القاهرة ـ سنة ١٩٨٦ ٠

١٧ ـ جيمس هنرى ستيـد : تطور الفكر والدين فى مصر القديمة ترجمة ذكى سوس دار الكرنك القاهـــرة سنـــة ١٩٦١ ٠

١٨ ـ رحمة الله خليل الهندى : اظهار الحق ، طبعة عمر الدسوقى ٠

١٩ ـ موريس بوكاى : الكتب المقدسة فى ضوء العلم الحديث ٠

٢٠ ـ د ٠ محمد كمال جعفر : الاسلام بين الاديان مكتبة دار العلوم القاهرة سنة ١٩٧٧

٢١ ـ د ٠ محمد عبدالله الشرقاوى : فى مقارنة الأديان مكتبة دار الهداية القاهرة سنة ١٩٨٦

٢٢ ـ د ٠ محمد نعيم ياسين : الإيمان مكتبة الفلاح بالكويت سنة ١٤٠٣ هـ

٢٣ ـ موسى محمد على : التوحيد مفتاح دعوة الرسل مصر للطباعة ! القاهرة سنة ١٣٨٣

٢٤ ـ A . C . Bouquet, Comparative Religion, Pelican Books, Published By BeGuin Books, University of London.

٢٥ ـ A.F. Collins, Introduction to The New Teslament, SCM. Press, London, 1983.

٢٦ ـ A.R. GiBB, Mohammedanism. Oxford. 1948.

٢٧ ـ H.Frankfort and Others; Before Philosphy Benguin Books, 1949.

٢٨ ـ Herve Rousseau; Les Religions "Que Sais-je" Presses universilaires de France.